الخاضع

أحمد القن

كاتب رعب مغمور أبحث عن التميـــز و الاختلاف، يصادفنى أحياناً بعـــض التوفيق بالمنتديات الأدبية المهتمـــة بالقضايا الغريبة و صفحات التواصل الاجتماعى حين أشـــارك بكتابات لأقيس حجم التفاعل و قوة تأثـــير كتاباتى على المتلقى، فأجد فى المقابل نقدا غير حقيقى أو بناء، بالإضافة للفهم العقيم الحالى لمفهوم كتابة الرعب المختزل فى أحشاء ممزقـــة و قمر يحول البشـــر لذئاب تركض لعـــض ضحاياها و آخرون بوجوه شـــاحبة تمتص عاثرى الحظ بنابين بارزين.

كنت فى حاجة للإيمان بقوة الشـــر لأمتلـــك خاصية الاختلاف، وكنت على يقين بأن كل هذا البؤس و الســـواد المقيم فى نفوس البشر لابد له من مصدر، لا يمكن أن يكون الإيذاء و القتل و الخسة و الكذب و الرياء و الطمع و الرغبة و الاشتهاء وليد نفس بشرية ولدت به ليختلط عليهـــا طهرها و عهرها فتقف بين خيار دائـــم للجنة و النار، للأبيض و الأســـود، كنت حاسما فى كل شئ لا أحب الألوان الرمادية ولا المناطق الوسطى غير المفهومة، كنت أبحث عن الخير أو الشر لأتفهمهم و أعتنق الأقوى و حتى أصل لحد اليقين الخاص بى، اعتزلت الحياة الاجتماعية، كنـــت أكتفى بما هو ضرورى و أتحدث فى نطاق التعامل والمفروض.

أقيم بعمـــارة بمنطقة راقية و هادئة تتناســـب مـــع طبيعتى، أختار فى حيـــز المعارف من يتفهم طريقتى بالحيـــاة، أمتلك محلاً للهدايا و الأنتيكات يملك سمعة معقولة، تديره فتاة ملتزمة دينياً، مريحة، بوجه بشوش طيب هى نموذج لليقين . لقد توصلت مع قلبها وعقلها للاختيار الصائب، فوجدت فى اللون الأبيض راحة. هى غالباً لا تكرهنى، لكن كل

شئ غير مفهوم مربك و هى لا تفهمنى، يقينها يخبرها بأنى طالما مسلم لابد و أن أصلى وألتزم، وأقوم بأفعال المسلمين، يقينها يربكها كونى لا أسبب لأحد ضرراً و منطوٍ و تقريباً كريم و صامت أغلب الوقت، وهى بيقينها صفات حميدة لا ينقصها إلا أن ألتزم و أرتاد المساجد لأفوز بالجنة. لم أكن أحاول فتح أبواب نقاش معها رغم محاولات ساذجة منها و بعيون تلوم وتحاسب، تنظر لى بكل وقت للصلاة فأهز لها رأسى لتختلى بربها بعض الوقت بغرفة جانبية و تقف بين يديه تؤدى فروض الصلاة مطمئنة. كم أتمنى أن أصل يوماً لهذه الدرجة من الراحة والثبات.

هى وجدت الله، لكنى لم أصل بعد ليقينها، لا أزال أتأرجح بين الممكن و المستحيل، أبحث عن الإيمان المطلق بالخير و الشر. كل شئ عندى مدفوع لأقصاه حين أستظل بالحيز الأسود، أكون عربيداً جداً، أقامر بكل شئ حتى بعمرى، و حين أقف بالقرب من اللون الأبيض أكون هادئاً جداً ووقوراً.

وكما تمثل إيمان فى محل الهدايا اللون الأبيض، تسكن رباب فى الجانب الآخر بكل ما فيه من قتامة. رباب تعطينى جسدا جائعا دائماً للرغبة، و شفاه لا تسأل أو تحاسب. لقد سحبها لمداراته اللون الأسود أخذها كاملة غير منقوصة، فهربت من أهلها أو تغاضوا عن هروبها ليرتاحوا منها تجد دوماً من يعطيها مالاً؛ فهى متاحة بدرجات مختلفة للجميع، و أنا أكره شعور الاجتياح حين يتملكنى لامرأة فأهاتف ربابا لتعطينى جسدها لأكفن فيه رغبات التطلب ليستريح عقلى و أفكر بهدوء، أحياناً أنظر لوجهها وأتذكر إيمان كيف تحيا رباب مع هذا الجرم الكبير مرتاحة الضمير، هادئة الملامح، بالتأكيد لأنها وصلت

لليقين و اختارت فى اللون الأســـود حياة مهما طالت أو قصرت ستنتهى.

أتذكـــر جيداً أنها ضاقـــت أمورها جداً وطلبت منـــى مالاً فرفضت قاصداً مراقبـــة ردة فعلها، كانت تطلب من الله تدعوه بملامح ذليلة أن يرســـل عطاياه أو أن يفرج كربها أن رباب يسكن فى قلبها الله، تعرف أنه من يمنح الرضا والســـرور، الضيق و الفرج، الصحة و الضعف.

تعـــرف أن هناك جنة و ناراً لكنها اختـــارت أين تقف من اليقين، هى تعرف على الأقل و مسئولة عن اختيارها. الغريب أنها رفضت تلك الليلة أن تتعـــرى أمامى و كأنها تريد أن تقنع الله أنها خيرة ومع أول بادرة من التغير ســـتعود للصخب. أدركت أنها بلهاء، الله لا نملك أن نراوغه يا رباب، الله أكبر من حماقاتنا!

خرجت يومها للشارع أبحث فى وجوه الناس عن الخير و الشر، الخير الكامل و الشر المقيم، كنت مغتسلاً نظيفاً فعرجت إلى مسجد توضأت و صليت و جلست أبحث عن البياض فى الوجوه.

كان هناك على اســـتحياء موجود بعيون مطمئنة وبعيون أخرى تائه وســـط شراســـة الحياة بوجوه متعجلة تهرول للبحث عن أشياء غائبة و بعيدة قد لا تملكها أبداً، لكن يبقيها الشـــغف على وعد مع الأمنيات.

كثيراً شاركت بجلسات تحضير للأرواح و تنقلت بين حيل الدجالين ورأيت أشـــياء مربكة و أشـــياء ساذجة و أشـــياء غير مفهومة لكنها دوماً غير محســـومة، قابلة للتأويل لا رأس لها ولا ذيـــل، دوماً الأمور الغريبة لا تخضـــع للقياس وما لا يخضع للقياس يخافه الناس و يرهبه العامة.

فى رحلتى لليقين احتجت لشىء قوى يتجسد فيه الشر، لو افترضنا أنه مخلوق اسمه الشيطان، ناديته ساخراً فى ليالٍ حالكة أن يخرج من طيات اللون الأسود حتى قابلت راغبا.

عقدته كانت فى كونه بلا أب، و هو يعيش مصحوب بلعنة الاسم اللصيق به، اسم أمه، راغب ابن تحية العالمة، لم يره أبداً، سجن و هو فى بطن أمه و حصلت على الطلاق و غادرت مع فرقة ترتاد الموالد راقصة رخيصة تهز أردافها و بطنها للمحرومين و المراهقين بالقرى والنجوع فى سيرك يعتمد على حيل مكررة و فتاة بصندوق زجاجى من عشرين سنة تسمى نفسها وردشان وتحيا على العصير جسداً بلا رأس.

كان والده النموذج الأول للإله، وبغيابه اهتز إيمانه فصار صاخباً يحمل كماً هائل من التمرد و الغضب والفوضوية، حانق على كل شئ، كاره للأبيض و مقيم فى السواد.

قابلته على هامش الحياة فى جلسة بمكان يعرض فقراتهم الساذجة، شعرت تجاهه بانجذاب غريب و تحدثنا لاكتشف كم الطاقة المحيطة به.

كان يملك كتبا صفراء بلغة غريبة و يمارس طقوسا أغرب، أغلبها مقزز لكن أثار اهتمامى و شغفى أول خيط حقيقى أجده للشر المجسد فى كائنات ضئيلة تحيا بغرفته، مسوخ صغيرة شيطانية لأشباه رجال متقازمة قاماتهم حد الهول حد الهول، كانت تتمسح فى أقدامه و يزيحها جانباً من على كتبة الملعونة كأنه يبعد قطه الأليف.

نفضت دهشتى وأنا أطالع نظرة الجنون فى عينيه وهو يرسم صلباناً

مقلوبة و نجمة داوود و يسكب سوائل ويناجى الشر، لم يكن البحث عن مال ولا سلطة كان مسحوباً لبقعة أكثر سواداً و أكثر عتمة. كان متزوجًا من فتاة ضئيلة تنظر لكل هذا بعيون ثابتة و تمارس الحياة كصنم، احتجت جهداً كبيراً لأكتسب ثقتها، وحين اطمأنت لى سألتنى بذعر: هل حين يطلب منك مضاجعتى ستفعل؟

نفيت تماماً ما تقوله فبكت و حكت لى ما هو أشد هولاً مما أرى. إن راغب، على حد روايتها، تمتلكه جنية أو روح شيطانية، فى حكم الزوجة تجبره أن يعنفها و يعاملها بقسوة وحين تغيب يعود و يعتذر لها و يطلب الرحمة والغفران و تلك الروح الشريرة تأتى للبيت تأخذه أحياناً لأيام يغيب فيها و يعود غريب الأطوار.

وهى لا تملك الفرار، حين تقرر الهرب تصاب بشلل نصفى يقعدها عن الحركة، حين ترضخ تعود سليمة تماماً، وتقبل هذا الحياة الكريهة مجبرة مقهورة.

بعد أيام تلمست الحقيقة فى روايتها. راغب فعلاً كانت تمتلكه قوة ما، رأيته بعينى يمارس أوضاع عجيبة على فراشه مع شيء غير مرئى أو ملموس، و رأيت زوجته نبيلة فى قهر حقيقى، تجبر على أكل طعام فاسد و حين سألتها وأجابت أنها أوامر الروح الشيطانية.

فكرت لم راغب لا يملك حياة رغدة و مالاً وجاها طالما لديه مصباح علاء الدين هذا، كانت الإجابة على هيئة محفظة لا تفارق جيبه، أخرج فارغة و أمام عينى المندهشة راح يسحب منها أوراقاً مالية من فئة ضخمة

ويضعها أمامى أكثر من خمسين رزمة، و يطلب منى الانتظار و الصمت، بعد دقائق اختفت، تلاشت أمام عيونى غير المصدقة، راغب يملك أموال الدنيا و محروم منها لأنه رفض أن يقتل نبيلة، كان هذا هو طلبها الأول فعاقبته وعاقبتها، لو قبل أن يفعل لاختلف الحال لكن بقايا إنسانيته و حبه لزوجته جعله يحيا هذا العذاب السيزيفى الإغريقى العجيب.

أشفقت جدًّا عليه و نصحته أن نبحث عن حل لفك تلك اللعنة لكنه بدا مذعوراً مرتعباً من مجرد التفكير فى الخروج من المأزق، هو لا يلوم أحداً، هو يلوم ذاته حين استرق السمع لنداء فوضاه لتتبع السحر الأسود بحثاً عن الخلاص و الانتقام من الجميع فسعى لربح رضا الشر، كتباً شريرة و تعاويذ غريبة تتطلب الخضوع لخطوات موحلة ومنافية للعقل والمنطق وضد طباع الإنسان ما قام به راغب لإرضاء الشر يفوق أفعال السفاحين و المرتزقة و أكثر المجانين هوساً.

و لم يربح إلا عشق روح شريرة استأثرت به لكن ببقايا إنسانية عالقة رفض قتل نبيلة ليلاقى عقابا يفوق كل تخيل و إدراك.

لم أتوقف طويلاً عند قصة راغب، كانت قصته هو والعقاب عقابه هو و تساءلت لم تجاوزتنى تلك الروح رغم محاولاتى لإقناعهم بأن نتخذ ضدها أموراً للخلاص، حكيت كل هذا لصديق لى يعتنق فناً غريباً اسمه المينيماليزم. هى مدرسة تجريدية فى الرسم والنحت ويستخدم الواناً أحادية و أشكالاً بسيطة للتعبير عن رؤيته، لم أحب ما يفعله لكنه مقتنع به ويجد دائماً من يقنعه.

كنت فى شقته وورشته بنفس الوقت التى تطل على شواهد للقبور، مكان يليق بجو قوطى للكتابة، هو يسافر لمعارض بالخارج و مفتاح شقته فى متناولى دائماً، أحضرت ورقاً و قلماً و جلست أبحث عن فكرة لقصة مرعبة.

ثلاث فناجين قهوة و خمس سجائر و لم أكتب حرفاً. عاهدت راغب ألا أفضح سره، و أن أتناسى كل شئ مما رأيت، وسمعت حتى الأقزام الصغيرة لرجال بلحى ووجوه مسحوبة كالماعز أغفلتها لأجل وعد أحمق. كنت سأكتب شيئاً رائعاً لو كنت رجلاً لا يحتفظ بوعود ولا يفى بعهود.

على شجرة توت كبيرة أمامى حط جسد لطائر ضخم قليلاً و كان ينظر لى مباشرة. أعرف أن أنواعاً من العقاب المصرى تقطن بتلك الأنحاء، لكن فى الواقع هذا نسر وليس عقاباً ولا صقر. نسر أفريقى بعنق طويل وعارٍ، لا أملك خلفية ثقافية هنا بأى حال من الأحوال. كان مهيباً فى خلفية السماء و ضخامته متجسدة بسيلويت كلوحة فنية وامتد عنقه قليلاً للأمام لتستقر رأسه فى قمر قارب الاكتمال. لم يكن منقاراً معقوفاً كما توهمت، بل رأسًا بشرية لسيدة عجوز تنظر لى بثبات.

انتابتنى رعشة غريبة، أنا من اكتفيت من الاندهاش وأبحث عن الشر المتجسد فى صور شعرت بأنه رسولاً من قبل أحدهم. اقتربت من خصاص النافذة و بحركة عفوية قبضت على مقعد خشبى و سحبته فى يدى و أنا أقترب ليمد الطائر جناحيه و يضربهما فى الهواء و يبتعد ليختفى أمام عيونى المندهشة، كان لدى شعور بأن هناك شئ ما حولى بالقرب منى له أنفاس كريهة يتشمم ويتربص، شعور قابض و سخيف، كنت أريد شيئاً مفهوماً ملموساً وواضحاً.

لكن تلك الأنفاس و صوت مكتوم غير محدد المصدر لشيء زاحف حولي مصحوب بطنين غريب أشعرني بالضعف فبحثت في جيبي، سأهاتف الله لأستقوى به من شئ لا أراه و أرهبه، ضغطت الزر فصدح صوت عبد الباسط في سورة التوبة ليرتطم في نفس الوقت شئ بالأرض كتلة راحت تتلوى للحظات متداخلة التفاصيل لرأس و أطراف أعقبها وميض و صمت تام إلا من صوت الشيخ الملائكي يتلو ما تيسر من الذكر الحكيم.

في صفحة مهتمة للرعب تحظى بشهرة كبيرة ومتابعة ضخمة، نشر أحد الأعضاء إعلاناً غريباً يطلب فيه فتاة بمواصفات خاصة لمشاركته في حفل لقربان، كان الإعلان مختصراً على مواصفات الفتاة و فكرة كونها ستقدم لروح شريرة لتسكنها. بدأ الأمر و التفاعل الكبير على البوست أكسبه حساً فكاهياً. بشكل أو بآخر، كانت المواصفات تنطبق على رباب حين عرضت عليها الأمر تحمست جدًّا كأنها لعبة و كنت في حاجة ماسة لارتياد عوالم أكثر رحابة، حاولت الاتصال براغب كان قد غادركل مكان أعرفه بلا رجعة وراسلت صديقي في جنوب أفريقيا حيث يقام معرض المينيماليزم، فأكد لي بأنه تلقى عرض عمل جيد، وسيظل هناك طويلاً و تقريباً أشعرني بلهجة أسيفة أنه لن يعود و أن شقته بيتي و مكاني و إن راق لي الأمر يمكنني العيش هناك بشكل دائم.

راسلت الشاب صاحب الإعلان بأن فتاته و بنفس المواصفات موجودة و ترحب بشرط الجدية، أبدى تفهمًا واضحًا، و كان مهذباً في الرد و أعطاني عنواناً و اشترط أن أقابله هو، وأن وجودي مرهون بمسافة لا تقل عن عشرة أمتار لأسباب تتعلق بالطاقة المطلوبة لاتخاذ القرار

دون تأثـــير من المرافق كما يشـــترط كتاباً غريب الاســـم ذكره لي.

رأيته قراراً عادلاً عشرة أمتار تكفى جداً لحماية رباب فى حالة حدوث مكروه. اخترت المكان فوافق على الاســـتبدال، الفراغ جعل ربابا فى حالة من الشغف كأنها ســـترتاد سينما أو ستدخل ملاهى للمرح. قابلناه أنا على مســـافة معقولة بأحد الكافيهات بمول شهير ورباب أمامه، تحدثنا لأكثر من ساعة و غادر. كان رجلا أربعينيًا له مسحة من ملامح أوروبية، وقور، يرتدى بدلة رمادية اللون بلا رباط عنق وله شعر ناعم ينسدل على كتفيه وله نظرات حادة قوية، بدا تأثيرها واضحًا على رباب حين عادت.

كانت ســـاهمة و غير متوترة، هدوؤها الغريب أشعرنى أنها تعرضت لحالة من التأثير المغناطيسى، أو أن قوة الرجل النفسية مستها بشكل ما. كانت بيدها صندوق متوسط فى حقيبة هدايا به مراهم بروائح نفاذة، طلب منها استخدامها وورقة مكتوب بها جدولا يماثل خطوات الحمية الغذائية، مطلوب منها أن تلتزم بها لانتصاف الشهر. كان قرارها محسومًا و على أتم الاستعداد، ومقتنعة تماماً بما ستكونه. قصصت لها تجربة راغب من باب أن أرفع عنى المسئولية، لكنها لم تهتم و شعرت بدورى بشغف التجربة، لست خيراً لدرجة الندم فرباب تحيا بشكل فوضوى ومجنون ولن يضرها أن تكون فوضويتها فى عوالم الســـحر، و هـــى ناضجة بما يكفى لتقرر.

فعلاً بعد أســـبوع كانت رباب تتبـــدل، صارت أكثر نضارة و جمالاً و حيوية، وبشرتها صارت أنعم و أجمل، كانت سعيدة بكنزها الجديد و هى ملتزمة بالجدول و نتائجه تبدو واضحة جداً.

أكاد أجزم أن عصا ساحرة سندريللا العجوز حولتها لأميرة لتلاقى حبيبها بحفل راقص بعد أيام حين جاءت الليلة الموعودة، التقوا فى دائرة كبيرة بمنطقة متطرفة من الصحراء الشرقية قرب الكريمات بجوار مبنى يشبه الضريح متهدم. أشعلوا ناراً و ارتدت رباب زيًّا يشبه زى العروس المغربية ليلة زفافها و كانت هادئة جداً. سمح لى الرجل الغريب بالوجود فى سيارتى على مسافة معقولة بشرط عدم التدخل أو التصوير و فتشونى جيداً و تركونى أراقب. كانت طقوسًا كأى طقوس شاهدتها أو أعرفها، مناجاة بعبارات لا تفهم بلغة قديمة و نجمة الشيطان ذاتها و دماء ورقصة محمومة و حركات مجنونة تشعرك بأنهم يقدمون فروض الطاعة لشىء ما.

حين نامت رباب فى المنتصف فى قلب النجمة السداسية المقيتة و تشابكت أيديهم، حدث الوميض وانتفضت رباب بعنف و هى تطلق صرخة خيالية لا تخرج من حلق إنسان، لم أجد نفسى إلا وأنا أسحبهم من فوقها و أيديهم تشل حركتى، ورباب تفتح عينيها و خيطان من الدم يسيلان من طرفيها، تراخت قبضاتهم فانطلقت نحوها لأحتويها لكن عيون لا تعرفنى، استوقفتنى و بيديها لطمتنى على صدرى بقوة عشرة رجال لأسقط فاقدًا الوعي.

حين استفقت لم أجد أحدًا، وجدتنى بسيارتى وهاتفى به بطاريته، أعادوها فحاولت الاتصال برباب فلم أجد ردًّا، أدرت مقود السيارة، لم أجدها بالمنزل، كانت متروكة لى رسالة بخط يدها تخبرنى فيها أنها وجدت حياتها وتشكرنى كونى أريتها الطريق و طلبت ألا أوجد إلا

بآخرعشـــرة أيام من كل شهر، و أنها ســـتكون هنا بشقتها على مسافة مـــن النافذة بعيدة نوعاً، رأيت طائر النســـر العملاق يقف ووجه العجوز ينظر تجاهى بشـــكل مباشر و مستفز، فقررت أن أعود للمنزل حيث بدأنا التعـــرف على قصته، لا يزال مفتاح شـــقة صديقى بجيبى وروحى على كفى لأصل لحل فى يقينى بأن شـــيئاً ما فى حياتى يحتاج للحســـم.

حين عدت لشـــقة زيان صديقى شـــعرت بأن المـــكان قابض فعلاً، هى الوحيدة المســـكونة بمبنـــى مكون من أربع طوابق، الـــدور الأرضى مخبز مغلق، الدور الثانى شـــقة صاحب البيت و هـــو مقيم بمحافظة أخرى و الدور الثالث لزيان وهى عقد لعشـــر سنوات مر أغلبهم، و الرابع روف لا يســـتخدم إلا نادراً من صاحب البيت. كانت أغلب بيوت المنطقة تتشابه بنفس عدد الطوابق تقريباً و بلون موحد، لكن هذا البيت بخلاف الجميع متطـــرف بالقرب من مدافن قديمة يعمل الحـــى على نقلها لكن يواجه مشـــاكل كبيرة مع الملاك. سمعت أنه واجه مشاكل أكبر مع المكان نفســـه حين حاول إدخال المعدات، يبدو أن انعكاســـاً لنفوس أهل الموتى جعلهم بدورهم رافضين فتعـــرض أغلب الرجال لحالات صرع و صداع و قىء، فغـــادروا المكان فى فوضى كبيرة.

قال لى زيان أن شيئاً شـــريراً يسكن هذا المكان، فى الحقيقة أول شيء قالـــه لى بحفل لعمر خيرت جمعنا بالأوبرا حين قدمت له نفســـى بأنى كاتب رعب مغمور ودعانى لرؤية شـــقته الغريبة. كان فنانًا و مصممًا بارعًـــا لبيوت بالفـــن القوطى ووضحه لى بأنه حرفيـــاً يعنى جرمانى أو تيتونى يثب فى أذهاننا مباشـــرة شـــكل قلاع مصاصى الدماء من القرن

الثانى عشر بتلك الأعمدة و القباب والأسهم المدببة حيث القلاع المظلمة و النفوس المعقدة والأجواء المشـــحونة بالتوجس و القلق.

قلت من قبل أنى أختار رفقتى، كان زيان مثلى، يرفض أسس المجتمع العاقل، مزاجه وفنه و نظرته للأمور تتوافق لحد كبير مع إدراكى للتكشف، لن تعرف الحياة من رجل يحيا بعيداً عن الخطر والألم، لن تدرك قوة الحياة إلا فى ملامح شخص موجوع و محروم منها، كنت أزور مستشفى ٥٧٣٥٧ لأراقب العيون و الوجع الساكن بنفوس تضمر و تبهت، كنت أشعر بحاجتى لرفـــض الانغماس فى اللذة بتذكر أن الحياة زائلة و أنها ســـقط متاع.

وكنت أسعد بابتســـامة الأطفال هناك و هى تفرح بأشياء بسيطة و هدايـــا متواضعة تعدهم لـ إيمان وهى تدعـــو لـ بالهداية. هى صاحبة الاقتراح و تقبلته منها برضا.

كان زيان يرســـم لوحات قوطية كبيرة بحجم جدار كامل، توقفت أمام واحدة منبهراً بهذا الجمال، شاعراً برهبة حقيقية، أشعر للحظة أنى أمام بوابة زمنية وليست تجسيد لفن معمارى قديم. لكنه ترك كل هذا و تخصص فى المينيماليزم معللاً أن البساطة و التجرد هى أصل الحياة. حين انتهيت شعرت بالجوع، أعرف أن الثلاجة بها معلبات وأكل محفوظ، نسيت أن أشترى سجائر، هممت للخروج لأجد مفاجأة من العيار الثقيل تنتظرنى . لم يكن الباب مكانه، فعلاً لم يكن الباب موجود من الأســـاس ولا الشـــباك المطل على القبور، كنت سجين البيت. جلست على مقعد بمنتصف الصالة لأســـتوعب الأمر وكل حوائط البيت تتعرق و أشـــعر بأنها تتنفس بشكل بطيء و ثقيل.

لكن الهواء كان جيدًا و كنت أتنفس بشكل طبيعى رغم أن الإضاءة صـــارت خافتة نوعاً مـــا، حوائط البيت لم تعد لامعـــة أو مصقولة، لقد ســـبغت اللوحه القوطية الجدارية الكبيرة المكان بجو قابض و صارت بها منحنيات وتعاريج مميزة و كأنى فى كهف لقلعة رومانية قديمة، كانت هناك أرقام مكتوبة على الجدار أمامى تمثل تاريخاً ضاربًا فى القدم غالباً رأيتـــه تحت اللوحه الجدارية ١٥٣٩م رأيـــت بعقلى ما ينبئنى بأنها تاريخ أشد عصور المسيحية ظلاماً.

كان شـــيئاً فى هذا المكان يريد منى شـــيئاً، طاقة كبيرة تبحث عن الانعتاق، قد تكون ســـجينة المكان أو سجينة اللوحة القوطية القابضة أو المبنى نفســـه. وفى دخيلتى شعرت بالأجوبة بعقلى تتداعى. زيان يعرف كل شـــئ وشارك فى الأحداث من البداية للمكان قوة تأثير أجبرته على فعل أشياء شـــريرة، زيان كان يحضر للمكان هنا ضحاياه تحديداً غذاء تلك اللوحات الجدارية الضخمة، تتنفس و تختزل داخلها شراً كبيراً، و تحتاج لمن تمتص منه رحيق الخلود و نبض الاســـتمرارية.

بنفس الوضـــع و الحالة هى الآن تمتص من جســـدى نبض الحياة، أشعر بالخدر و أنا أســـتلقى و قواى تنساب من عروقى و فى صورك شرز و خيوط فضية تجاه اللوحة لكن لأسباب ما توقف الأمر وعاد كل شىء تماماً كما كان.

الإضـــاءة والحوائـــط المصقولة و اللوحة الجداريـــة تطل على عالمنا ببراءة لوحة مرســـومة بإتقان. لكنى أعرف السر و أعرف التكليف، زيان هرب خارج البلاد، ولم يعد أمام تلك القوى سواى، أنا مطالب بأن أحضر

لها من تمتص منه نبـــض خلودها لتبقى. وبداخلى تكليف إن لم أتخذه بمحمل من الجد سأنال عقاباً.

كان الطائر المســـخ ينظر لى من خلف النافذة بعيون ثابتة من رأس السيدة العجوز حين دققت فى أحد القباب فى اللوحة، كان هناك يقف، إنه رسول الشر و مبعوث الجحيم لكابوس لا أعرف من جاء به لزيان و غادر.

كنت مؤمنا بأن جزءًا من الشر هو نفوسنا فى رواية لجوزيف كنراد اسمها (قلب الظلام) وظلام قلوبنا كبشر وأننا نشارك بصنع جحيمنا الخاص او الجحيم للآخرين.. تلك اللوحة قد تكون مصحوبة بلعنة أو بإرث من الدم والشرور لتبقى وتبحث عن زادها من سلب الأرواح رغم رحيل صانعيها، إنها الآن تســـكن جزءًا من عقلى وتطلب منى أن أرويها بحيوات البشر، كما كان يفعل زيان فى كل هذا السواد، شعرت بالحاجة لرؤية إيمان، كانـــت تمثل بقعة الضوء الوحيدة بكل تلـــك القتامة فعرجت للمحل ورأيت بعيونها فرحة لا تخفى علىَّ لو بحالة مزاجية افضل وبحياة اكثر اســـتقرارا من يدرى؟ قد يكون حينها لى فيها حسابات مختلفة... كانت جميلـــة ونضرة ونقية.. حدثتنى أن رباب ســـألت عنى.. فقمت بالاتصال بها فوجدتها فى شقتها..

ورببـــاب كما أعرفها غير منقوصة.. لم تكن لتذكر أبدا شـــيئا مما حدث، لكنها تعرف أن فى مواعيد معينة من الشـــهر ستكون تحت سطوة كيان معين وقوة كبيرة تحتل جســـدها..

شعرت بالحيرة وأنا أخرج ورقة واكتب.

راغب، ورباب، وزيان، ما القاســـم المشـــترك بين ثلاثتهم ولما فى كل حكاية منهم روح شـــريرة تسكن العمق..

جنية ســـفلية فى حياة راغب وكيان شيطانى فى جسد رباب والآخر روح شـــريرة فى لوحة قوطية من قرون تســـتمد بقاءها من سلب الأرواح ونبض البشـــر، وأنا شـــاهد على كل تلك القوى والحالات لأنى أبحث وأتقصـــى وأهتم لرغبة دفينة بأن أرتقى بـــأدب الرعب لأنى أقابل بنظرة متعالية من كتاب الأدب الموازى، كنـــت أريد أن أبرهن أن الرعب حالة اجتماعية كالحب، بل أشـــد ضراوة لأن العاطفة الأقوى هى الخوف.. .فى الحالات الاجتماعية الثلاثة نظرة إنسانية مدققة فراغب قبل عقابه المهـــين لأنه أحب نبيلة فعلا وكونه يدفع ثمن شـــروره لأنه لم يحســـب للاختيار حسابه.. ورباب باعت جسدها للشيطان هذه المرة كما كانت تفعـــل دوما لطالبى المتعة المحرمة وأنا منهم وزيان باع فنه وقبل أن يكون خادمًا لشيء شرير انسحق أمام رغبته فى التكشف.. وأنا بدورى أفعل.. فهل أمتلك القدرة على الفرار؟!

هل تلـــك التجارب كافية لأدرك أن اليقين فـــى حياة إيمان النقية والاحتماء بالله كما تفعل هى بوجهها البشوش المبتسم الهادئ المطمئن..

لقد فعلت واحتمت بالله حين سقطت تلك الكتلة الهلامية المتداخلة الأطراف بالبيت أول مـــرة واختفت حين خرج من هاتفتى صوت الذكر الحكيم.

أكاد أطمئـــن لقرار بدخيلة النفس لكن هناك عدة خطوات يجب أن أفعلها قبل الحسم..

كان الإغراء والغواية أكبر منى..

كانت جميلة بشكل متوحش..

دعوة من رباب..

وكنـــت على خلاف بينى وزوجتى التى حاولـــت عابثا معها أن أصل لحل لكنها رفضت.. كانت إجازتى يومين فقط و أســـافر بعدها للسلوم مجددا لموقع العمل فأنا مديـــر لأحد مصانع الحديد هناك.. فكرت فى رباب كوســـيلة لمعاقبة زوجتى الرافضة دومـــا وجودى على نقيض رباب التى أجدها دوما وقتما أريد..

هاتفتها فوجدتها مستعدة.. ليس فى شقتها أو فى فندق.. هذه المرة فى سيارتى خارج حدود طريق القاهرة بعد بوابة لمنطقة تدعى الكريمات، وبجانب الطريق توقفنا وكانت دافئة وجميلة وشهية، وما إن اقتربت من شـــفتيها إلا وشعرت بخدر ووجهها كله يتحول لمص عملاق! ويداها تخرجان منها خيوط هلامية لزجة تقذف بوخزات كالإبر لأكون مثل ذبابة ســـقطت فى بيت عنكبوت.. . ارتدت ربـــاب فجأة للوراء.. وحينها رأتنى قد هرمت عشر سنوات على الأقل وضمر جسدى..

لم اجد لما حـــدث فهمًا ولا معنى.. ولهذا أتيتـــك لثقتى فى كون لديك تفســـير، ربما لأنك كاتب رعب وبالأمـــور الغريبة مدرك..

انتهت روايته و انتظر منى الرد

كم روحا نحرت رباب فى شهورها الأخيرة؟!

وأنا شـــاركت فى هذا الكابوس، لقد ســـرقت من هذا الرجل سنوات عمـــره وإن كانت عدالة كونه أخذ عقاب جـــرم وإثم كان يرتكبه وأنا بدورى أسعى لأستغفر الله عنه.. .أخبرته أن رباب يسكنها شيطان رجيم وأن عليه مســـاعدتى لنخرجه منها أو على الأقل لننقذ الآخرين..

أجرينا بالفعل عدة مكالمات لمن نعرفهم لنخبرهم أن رباب لديها مرض جلدى خطير ونحذرهم من التعامل معهم بأى حال كونها ستعديهم.

(هكرت) حسابها الشـــخصى وكتبت فيما يوازى معنى التحذير من العدوى بلهجة أقل حدة كونها تبحث عن حل أو مساندة.. . سببت لها الفوضى وحين اتصلت غاضبة هددتنى بالقتل فأخبرتها أنى سأقتلها.. وأنى موجود بشـــقة زيان الذى تعرفه جيدا وزدت حدة صوتى وأنا أخبرها أنى لا أخشاها فصرخت بغضب أنها ستأتى لـ.. .

انتظرتها هناك وأنا مســـتعد تماما لأواجه قطبى الشر ولا أدرى هل ستتنافر أم تتجاذب؟!

وهل سأخرج سالما أم سأنسحق بينهم؟!

كان لابد من فعل هذا مهما كانت النتائج لأصل لليقين.

كنت أعلم ان الفترة القادمة حاسمة جدا فى حياتى، لوحة شـــريرة تطالبنى بالخضوع لها وشـــيطان يسكن روح رباب يتوعدنى بالقتل ونسر

برأس بشـــرى يتابعنى من فوق أســـطح البنايات.. بحثت فى أوراق زيان ككل الفنانين يصور أفراحه ومخاوفه بصور ويرسم وجها مذعورة وأرقام بدوائر وأسماء مســـتعارة لفتيات ليل، من الطبيعى أن يستقطب للوحات مهمشين ليبتعد عن المحاسبة القانونية..

السؤال هنا كم روحا تحتاجها اللوحة القوطية الملعونة فى شهر؟

كنـــت ملتزما مؤخرا بالصلاة وأحتفظ بمصحف أهدتنى إياه إيمان فـــى العيد، لقد كنت فى معركة وأحتاج لأن أتســـلح بكل عتاد يضمن لى الســـلامة، أحتفظ بقاذفة لهب صغيرة فى شـــقة زيان على أساس أن الشـــياطين قد تؤذيهم النار قياسا على أذية الطين لنا.. .ليالٍ طويلة لم تأتِ رباب لكن حين أتت كنت مستعدا على الأقل نفسيا.. حاولت طبعا التخلص من اللوحة لكن طاقة عجيبة تزيح الفكرة بمجرد أن اقترب من الحيز المكانى.. وأنا بعيد أفكر بمنطق، لكن حين أدخل حيز شـــقة زيان أصبح مشوشا جدا ولا جزء منى يقاوم..

أرسلت عمالا ليتخلصوا من الجدار كله وأنا خارج المنزل وحين عدت لإعطائهم أجرهـــم لم أجدهم، بل وجدت ثلاثة أطـــراف جديدة مدببة ضيفـــت على نقش القلعة فى اللوحـــة لم أحتج لجهد كبير حتى أفهم أنها أطراف العمـــال... لابد أن ينتهى هذا الكابوس.

وصلت رباب، جلســـنا بالصالة وكانت بحالـــة طبيعية إلا من عيون لئيمـــة ترقبنى بمكر قالت: إن حيلـــة الغواية لن تليق..

وأنها تملك القدرة على سحقى لكن لأسباب أخرى ستعطينى فرصة لأبعد عـــن طريقها، يكفى أنى كنت الوســيط وهذه دلالة على كونى معفيًا من القتل.. .

كانت معلومة قيمة حقا حيث إن كونى وســيطا فى إحضار الجسد المضيف أخرجنى من حيز الضحية.. وقتها أخرجت قاذفة اللهب وابتدأ المرح، لم أكن أتخيل أن الشـــر حين يتجسد سيكون بهذه البشاعة.. لقد ســـال من عيون رباب خيط من الدم وتوحشـــت ملامحها الجميلة حين اســـتطال الرأس ممص عملاق أقرب لشـــكل خرطوم الفيل وامتدت من الأصابع خيوط هلامية لزجة تنتهى بإبر رفيعة، وبالفعل كان للنار تأثير قـــوى على حمايتى، لكن الكائن كان يدرك إن عاجلا أم آجلا ســـتنتهى اللعبة، وســـتصير القاذفة قطعة معدن فراح يبتعد عن حيز النار بفحيح قوى، ومن خلف كتفه خرجت من اللوحة ثلاث نسور قوية بوجوه آدمية بشعة وتحولت حوائط الشقة لجدران تشبه القلاع واختفى الباب وأحاط بنا الجو القوطى والنســـور تقبض على ذراع الكائن الشيطانى.

كنـــت اجلس فى ركن مرعوبًا أراقب كل هذا الهول، والكائن يقاوم باســـتماتة لقوى يبدو أنها تفوقه عمرا وطغيانا، لكن النسور كانت أشد بأســـا وهى تضرب بجناحيها تجاه اللوحة والوجوه الآدمية المقيتة تطلق ضحكات كما الســـاحرات الشريرات وعلى الجدار تم الفصل..

الكائن يســـحب وجسده يصنع شررًا وومضات واللوحة تمتص وجسد رباب يســـقط أرضا فسحبتها بجهد عظيم وهى فاقدة للوعى.

كانت اللوحة تمتزج وتهتز يبـــدو أن صراعًا عظيمًا يحدث بالداخل والإضاءة عـــادت والباب أمامى ورباب تحت قدمى.

الصورة على اللوحة مشوشـــة جدا ومختلطة والقلعة جزء من سورها تهدم، شعرت أن الكائن البغيض يملك قوى ليست بهينة أو بسيطة، وأنه لا يزال صراع قائم بين قوى الشر.. .

هاتـــف خفى أخبرنى أنها لحظة لن تتكرر وأن شـــيئا ما من الارتباك والضعف هنا فسلطت الشعلة للقاذفة تجاه اللوحة وضغطت وأنا أصرخ، وفعلا اشـــتعلت باللهب وهى ترتج بقوة، وبالخارج رأيت النســـر الغاضب القادم نحو الشـــرفة تشـــتعل به النيران ويســـقط على الأرض كنيزك محترق، كان البيت يهتز بشـــدة فســـحبت رباب وحملتها على كتفى وألقيت بكل شـــيء خلفى وغادرت لســـيارتى مســـرعا.. رميت رباب على المقعد الخلفى وانطلقت لأهرب مـــن كل هذا الجحيم..

مرت أيام هادئة بعد احتراق شـــقة زيان، ولم يقم المالك بأى إجراءات قانونية واكتفى ببيع المكان كله لشـــخص آخر، وطويت تلك الصفحة خصوصا بعد اســـتقرار حالـــة رباب ووجدت أنها لم تعد تمثل لى شـــيئًا كبيرًا وانهمكت هى فى حياتها الصاخبة والمزدحمة، كان ثمة شىء ينمو فى قلبى على استحياء تجاه إيمان، فتاة لطيفة اكتشفت فى روحها نورًا كبيرًا، وأسعدها أن أوجد بشكل ملحوظ فى محل بيع التحف القديمة.. كان فـــى حاجة للاهتمام به وكنت أعتمـــد على كونه بمنطقة راقية وزبائنـــه من الطبقات العالية اعتمدت على سمعته الطيبة وأغفلت دورى كمستثمر..

بدأت بالاهتمام بتتبع القطع النادرة من التحف والأثاث فى القصور والبيوت القديمة.. .ليمتزج عملى بحالة الشغف لكل غريب.

وخلال سلسلة من الاتصالات تلقيت عرضًا جيدًا لزيارة أحد البيوت القديمة حيث أخبرنى المتصل أن سمسارًا يهمه الربح جدا فى المقام الأول يريد أن يبيعنى بضاعته، كانت البضاعة عبارة عن طوطم صغير قبيح المنظر لقزم يمسك بيده عصا ملتف عليها ثعبان مجنح خليط من الأفعى والتنين، حاول أن يروج بضاعته على أنها شىء أثرى.. .

لم نختلف.. كان واضحا أنه يريد الخلاص من الطوطم مما أثار شكى أن أمورا ما دارت هنا.. حاولت أن أجعله يحكى لكن خوفه من عدم اكتمال الصفقة منعه... اكتفيت بالحصول عليه.. وجلست أراقبه.

فعلا به شىء بغيض ومقيت، والغريب أن اصدقائى حتى لم يدركوا لأى ثقافة ينتمى هذا النموذج السيء للقزم القبيح..

طوله أربعون سم..

شفتاه الممتلئتان تخبر أنه ربما يكون أفريقيا.

وضعته فى منزلى وتغافلت عنه برهة لأكتشف بعدها أن العصا غابت!!

ويالللهول !! العصا التى هى على شكل ثعبان مجنح أراها الآن فى حديقة المنزل المجاور تطبق على عنق كلب الحراسة!! وتبتلعه فى لحظات.

شىء أســـطورى.. أصبحت بحجم رجل ضخم.. هذا الثعبان المجنح يدور حول نفســـه بفحيح عجيب وينطلق كالصاروخ لأجده أمامى فى ثوانٍ يتحرك بالشـــكل الأفعوانى المميز.. .

لم أنطق أكثر من الشـــهادتين ووقفت متســـمرا فـــى مكانى أنتظر مصيرى..

لكنه لم يفعل لى شىء!!

يبدو أن مالـــك التمثال يحظى بتميز خـــاص ليصير هذا الوحش طوعًا له..

زحف تحت قدمى ولعق بلســـانه المشـــقوق طرف الحذاء ثم انتصب أمامى بشـــكل عجيب معتمدا على جناحين يوفران له الاتزان المطلوب.. واقترب من الطوطم والتف حوله لينكمـــش ويعود أمام عينى المصدومة عصا بريئة بيد القزم القبيح..

حين سمعت النباح فى الخارج وتأكدت أن الكلب مازال سليمًا معافىً، عدت مجددا أنظر للقزم والعصا فى يده!!

شـــىء ما غامض.. شـــىء ما حدث غير مفهـــوم والكلب لم يكن أبدا فريســـة كائن أســـطورى.. .ربما بعض الهلاوس أطلقها هذا الطوطم لأكون جاهزا لتصديق شـــىء يريدنـــى أن أصدقه.. .

الطاقة الســـلبية لتكوين الكوابيس الخارجة من هذا التمثال البشع تليق بصنـــع آلاف الأفلام الخيالية المرعبة.

هذا الطوطم يعود لســـاحر أفريقى يؤثر بـــه على أفراد قبيلته رانيت طبول وليل ورقص ورماح وقتل ورجال.. أشـــداء يأكلون عقول قتلاهم من الفرســـان إيمانًا منهم بأنها ســـتنقل لهم خبراتهم وتجاربهم، ورأيت أشياء أخرى لعصور مختلفة.. . مساوئ مرت بهذا الطوطم على مراحل تنقله من مالك لآخر، والغريـــب أنى رأيت من بين من امتلكه راغب!!

رأيته وهو يجثو أمامه ويتضرع...لأبعد حدود ممكنة من السوء ذهب راغب.. ليحظى بهذا العقاب..

هنا شـــعرت بأمر خفى ورباط لكل تلـــك الأمور.. هناك من يحرك الخيـــوط من البداية فى رحلة الشـــك واليقين الخاصة بى..

راغب والحوار الجانبى حول الغرائبية وزيان وشـــقته واللوحة اللعينة وإعلان الغريب لأدفع رباب فتكون المضيفة لروح الشـــيطان.. .

واتصال أحدهم كسمســـار بى لأمتلك فى النهاية انا هذا الطوطم وأجدنـــى أعرف تاريخه بهذا الشـــكل الواضح بعقلى هنـــاك من يدفع بحياتى ليتجسد الشر فى صورة مختلفة لإقناعى بالخضوع واليقين بأن أختار...ارتبكت أمورى من جديد واختلطت دواخلى وعزفت نفســـى عن الالتزام وتبددت طاقة نور كنت تلمســـتها أخـــيرًا.. ابتعدت عن إيمان ومحل التحف القديمة، وصرت أجلس بالســـاعات أمام التمثال، شـــيء غريب على نفســـى الامتلاك والتملك.. .كان يســـكن هذا الطوطم طاقة بغيضة كأنى أســـتقى منها الظلمة حين اتصلت بى رباب سألتها عن السبب فلم تجب.. .

كنت أعرف السبب.. دعوتها لأريها شيئا.. انبهرت بالطوطم وجلست أمامه صامتة لوقت طويل كنت بحاجة لأراقب من زاوية أوسع وأبعد..

فـــى منطقتى فى الأيام الماضية حدثـــت مجموعة أمور غريبة كلها تتعلق بحالة من الشر سكنت نفوس البشر علاقات ساءت وحوادث وطلاق بين الأزواج وخيانة وشـــرور كثيرة كنت أعرف مبعثها.. وسببها..

حتى رباب حين دخلت المطبخ وقبضت على ســـكين متوســـط الحجم كانت مشوشة فأخفيت التمثال بملائة سرير تركتها للحظات ساهمة أمام الموقد كأنها اســـتفاقت من أثر ما لم أكن أعرف أكانت ســـتقتل نفسها أم ستقتلنى.. أدركت أن للطوطم تأثيرًا مباشرًا على بعض وعلى آخرين يكون التأثير أقل..

هناك شـــيء فى قلبى وعقلى يقاوم.. قد يكون بصيصًا أخيرًا من نور يبدد العتمة..

لكن مساحة الظلام زادت... .

جاءتنـــى ربـــاب جائعة للحب وطلبـــت منى هـــذا.. أن نفعلها أمام الطوطم!!

لم أمانع رفعت الملاءة من عليه وصار شاهدًا على جرمنا.. الغريب أن تلـــك المرة لم تكن ككل المرات.. كانت أكثر متعة وقوة.. كنت أراها تتشكل فوقى بصور نساء لا يشبهونها وكأنها تلبسها جنيات.

وحين تتشبث بى تنادينى بلغات وأسماء مختلفة.. لقد سبغتنا لعنة القزم بأرواح مظلمة تحت قدميه ارتكبنا الموبقات..

شعرت فى داخل نفسى بأنى كالقاتل حين يضغط على الزناد أول مرة فيستبيح القتل ويصير الأمر سهلا.. استفقت على جوع للشر والإيذاء لكسر الدمى وعصر القلوب حاجة رهيبة لتخريب الجمال وإسكان الحزن بقلب إيمان..

حين تمتلئ بالشر يصير الخير شاشًا أبيض يكفن روحك.. لم أعد أطيق النور أرتاح للعتمة. لجنون رباب وأكره نظرة الاستنكار والحزن ودمعة الاحتقار وهى تنحدر من عين إيمان.. أهنتها واتهمتها بالسرقة...

وإيمان الشرف لديها والأمانة تعنى الكثير، انجرحت بالطبع وأنا شعرت بالارتواء وازدادت مساحة العتمة سوادًا وكأن وجود إيمان يبددها..

سهل حين تختار طريقًا واحدًا أن تركض فيه.. إن ما يمزق أحاسيسنا هو اليقين.. كنت أشعر من البداية لحاجتى للوصول إلى قناعة الاختيار.

تبقى أن أفهم.. ما الرابط لكل هذا؟!

ولما أشعر فى نفسى أن شيئا خفيًّا يحرك الأمور فى اتجاه معين.

كان يجب على أن أستعيد البدايات، ولعى غير الطبيعى بالغرائب وشعورى الدائم منذ طفولتى أن هناك من يتبعنى، طفل البيت المهجور حين كان يترصدنى وينتظرنى فى ساعات الليل الأخيرة لأهرب من بيتنا وأشاركه اللعب وأحترق أمامى فجأة بشىء هبط من السماء وصرخت حينها كالملسوع ليحملونى لبيتنا وسط بسملات وحوقلات أمى.

كونـــى وحيدًا جعلنى مدللا.. لكنى كنت دوما فى رفقة مع آخرين لا أعرفهم من أين يحضرون.. كان جدى صامتا دومًا وشيء فيه يعرف كيف يناديني ويحتويني بين ذراعيه ويهشهم عنى ويتمتم بكلمات.

لم أر والدى لكن قيل لى إنى أشبهه كثيرًا. حين مات جدى طار نعشه وحلق بعيدا وسط دهشة الجميع.

هناك من كبر وهلل.. وهناك من استعاذ بالله من الشيطان الرجيم.

لم تبك أمى عليه، ظلت شـــاخصة البصر جامدة العين تراقب نعشه وهو يتوارى خلف الأفق.. بثياب غريبة تركت المحافظة كلها ثم ماتت فـــى صمت حين كبرت تاركة لى مدخرات كبيرة ومحلا بمنطقة راقية كانت تصلى وتحيطنى جاهدة من شيء لا أعرفه تحديدا، لكن أشعر به حولى يسير فى خطواتى أحيانا ينكل بخصومى.

كانت تســـتميل روحـــى بنقائها، لكن تعود بـــذور جدى وأبى تضرب بمعاقل روحى فأصرخ بوجههـــا وأغادر فتبكى قهرًا فى تلك الليلة التى ســـافرت فيها لطنطا، وتوقفت أمام عروض مســـرح متهالك شـــيء ما دفعنى لأجلس وأختار وأراقب راغبًا لأحدثه وأنصت له وأشـــاركه لعنته وأرى عقاب تمنعه عن قتل نبيلة إرضاء للروح الشـــريرة التى تمكنت من الاســـتحواذ على حياتـــه، كان ذليلا مهزوما مكســـورا حتى حين، رأيت الكائنات المقيتة التى تســـكن بيته واقتربت تتمسح فى قدمى، لم أستشعر ذعـــرا أو خوفا كأنها أتت من عالم أعرفه.. أذكر أنى دفعتها بقليل من الاشمئزاز وكأنى أتفهم كونها طفيليات بعالم أكبر وأكثر اتساعا له

عمالقته وطعناته كان سرًا فى دواخل النفس يحمل سرًا ومفتاحًا لكل تلك الأشـــكاليات التى وجدت لشروح تفك سره وطلاسمه.. .

فيما يخص رباب لم أكن شـــريفًا جدًا، تواصلت مع شـــخص باسم مســـتعار، واســـتطعت بمجهود متواضع أن أقنعه فى الدخول فى تجربة إحياء روح ساحرة من عصور سحيقة، كان مستشرق مهتم بثقافة معينة وهـــاو لكل ماهو غريب وفريد، تمكنت من جعلـــه عبدًا لنزواتى المجنونة ليبدأ فى اســـتحضار مجموعة تؤمن تماما بالعهد لإحياء الروح.

كنت مـــن صنع المراهم من كتيبات خاصـــة بمكتبة جدى فى بيت العائلـــة القديم.. وكنت أدير كل الأمور من بعيد وبمســـافة معقولة لأضمن النتائج، وأقنع الجزء الضئيل الأبيض فى روحى بأنه خلال وقت لن يطول ستأتى العتمة..

فى شقة زيان أنا من أهديته اللوحة بعد تعارفنا بأحد المسارح الترفيهية بوســـط البلد ليقع فى فخ مطالبتها الدائم للدم وامتصاص الرحيق من الأرواح... تلـــك اللوحة كانت من مقتنيات جـــدى، ويبدو أن وجودها كان مرهونًا بالعهد الذى قطعه قديمًا مع قوى الشـــر وورثته من بعده.

إن شـــيئًا كبيرًا كان يحيط بالأمر من أوله.. الاختيار كان محددا لكن لم أكن أملك اليقين.

كمـــا توهمت.. كما أن جزءًا إنســـانى كان يحاول ويجتهد، كان علىَّ أن أثبت أنى لست خاضعا كأبى وجدى يبدو أن والدى قاوم فعوقب وجدى استسلم وأكمل مهمة الشر ثم أورثها للعائلة.. لا ندرى من ابتدأ

كل هـــذا الجنون لكن على أن أكمل وقررت أن أفعلها بطرق خاصة.

عصفت بقوى اللوحة ووجهتها لروح ســـكنت رباب اســـتحضرتها من قلب الجحيم خصيصـــا لأصنع تلك الفوضى.

أنا من وهبت راغب قديما تمثال القزم ليقع تحت شروره ويصير خادمًا له لكن لم أخطط أن تعشقه إحدى أميرات الجحيم وتطالبه بقتل نبيلة، ولم أخطط أن يرفض فيعاقب.. لكن ساهمت فى صنع الهول الذى عاشه..

حتى زيان حـــين هرب وترك اللوحـــة اللعينة على جوع أرســـلت لى تطالبنى أن أعطيها زادها من الأرواح، أنهيت الأمر لأقنع ســـيد الشر أنى أختلف عن كل من خضع له وأنى أســـتحق شـــرف لقائه..

لم يعد هنـــاك الكثير ليحدث هذا.. أنا قادر على بذر الشـــر و صنع أقاصيص الخوف لأحقق غاية سادة الجحيم، وأجعله يبتسم راضيًا حينها ســـأنال شرف اللقاء ما دمت أملك حيل الخديعة والنفاق وكل أساليب الأبالسة فى صنع الفخاخ..

كما بالضبط أوهمتكم فى لحظـــة أنى أبحث عن الصلاح والتقوى فى نور ايمان..

أنا سفير الشر وسأشكل فى حياة كل منكم هوله الخاص حتى يتتبع غرائزه ومكامن ضعفه، ســـتكون الإنسانية كلها غيوم ضخمة بلا جناح تسير فى ركب الشر عندما يبتسم الجحيم

(تمت)